أرض الشام

وأما الشام فإن غربيها بحر الروم، وشرقيها البادية من أيلة إلى الفرات، ثم من الفرات إلى حد الروم، وشماليها بلاد الروم، وجنوبيها حد مصر وتيه بني إسرائيل، وآخر حدودها مما يلي مصر رفح، ومما يلي الروم الثغور، وهي ملطية والحدث، ومرعش، والهارونية، والكنيسة، وعين زربة، والمصيصة، وأذنة، وطرسوس، والذي يلي الشرقي، والغربي مدن قد ذكرناها في تصوير الشام.

قد جمعت الثغور إلى الشام، وبعض الثغور تعرف بثغور الشام، وبعضها تعرف بثغور الجزيرة، وكلاهما من الشام، وذلك أن كل ما وراء الفرات من الشام، وإنما سمي من ملطية إلى مرعش ثغور الجزيرة؛ لأن أهل الجزيرة بها يرابطون ، وبها يغزون لا لأنها من الجزيرة وكور الشام؛ إنما هي جند فلسطين، وجند الأردن، وجند حمص، وجند دمشق، وجند قنسرين، والعواصم والثغور، وبين ثغور الشام، وثغور الجزيرة جبل اللكام، وهو الفاصل بين الثغرين، وجبل اللكام هو جبل داخل في بلد الروم، ويقال: إنه ينتهي في بلد الروم إلى نحو من مائتي فرسخ، ويظهر في بلد الإسلام بين مرعش، والهارونية، وعين زربة فيسمى اللكام إلى أن يجاوز اللاذقية، ثم يسمى جبل بهراء، وتنوخ إلى حمص، ثم يسمى جبل لبنان، ثم يمتد على الشام؛ حتى ينتهي إلى بحر القلزم.

وأما جند فلسطين وهو أول أجناد الشام مما يلي المغرب؛ فإنه تكون مسافته للراكب طول يومين من رفح إلى حد اللجون، وعرضه من يافا إلى ريحا يومين، وأما زغر، وديار قوم لوط، والجبال، والشراة فمضمومة إليها، وهي منها في العمل إلى أيلة، وديار قوم لوط، والبحيرة المنتنة، وزغر إلى بيسان، وطبرية

تسمى الغور؛ لأنها بين جبلين، وسائر بلاد الشام مرتفع عليها، وبعضها من الأردن، وبعضها من فلسطين في العمل، وأما نفس فلسطين فهو ما ذكرته وفلسطين ماؤها من الأمطار، وأشجارها، وزروعها أعذاء إلا نابلس فإن بها مياها جارية، وفلسطين أزكى بلدان الشام، ومدينتها العظيمة الرملة، وبيت المقدس يليها في الكبر، وبيت المقدس مدينة مرتفعة على جبال يصعد إليها من كل مكان قصد من فلسطين، وبها مسجد ليس في الإسلام مسجد أكبر منه والبناء في زاوية من غربي المسجد يمتد على نحو نصف عرض المسجد، والباقي من المسجد فارغ إلا موضع الصخرة؛ فإن عليه حجرا مرتفعا مثل الدكة، وفي وسط الحجر على الصخرة قبة عالية جدا، وارتفاع الصخرة من الأرض إلى صدر القائم، وطولها وعرضها متقارب يكون بضعة عشر ذراعا، وينزل إلى باطنها بمراق من باب شبيه بالسرداب إلى بيت يكون طوله نحو بسطة في مثلها، وليس ببيت المقدس ماء جار سوى عيون لا تتسع للزروع، وهو من أخصب بلدان فلسطين، ومحراب داود -عليه السلام- بها وهو بنية مرتفعة ارتفاعها يشبه أن يكون خمسين ذراعا من حجارة، وعرضها نحو ثلاثين ذراعا على الحزر والتخمين، وأعلاه بناء مثل الحجرة، وهو المحراب، وإذا وصلت إليها من الرملة فهو أول ما يتلقاك من بناء بيت المقدس، وفي مسجد بيت المقدس لعامة الأنبياء المعروفين لكل واحد منهم محراب معروف.

وعلى ناحية جنوب بيت المقدس على ستة أميال منه قرية تعرف ببيت لحم وهي مولد عيسى -عليه السلام-، ويقال: إن في كنيسة منها قطعة من النخلة التي أكلت منها مريم هي مرفوعة عندهم يصونونها.

ومن بيت لحم على سمته في الجنوب مدينة صغيرة شبيهة في القدرة بقرية تعرف بمسجد إبراهيم -عليه السلام-، وفي المسجد الذي يجمع فيه الجمعة

قبر إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب -عليهم السلام- صفا، وقبور نسائهم صفا بحذاء كل قبر من قبورهم قبر امرأة صاحبه، والمدينة في وهدة بين جبال كثيرة كثيفة الأشجار، وأشجار هذه الجبال وسائر جبال فلسطين، وسهلها، زيتون، وتين، وجميز، وعنب، وسائر الفواكه أقل من ذلك.

ونابلس مدينة السامرة يزعمون: إن بيت المقدس هو نابلس، وليس للسامرة مكان من الأرض إلا بها، وآخر مدن فلسطين مما يلي جفار مصر مدينة يقال لها: غزة بها قبر هاشم بن عبد مناف، وبها مولد محمد بن إدريس الشافعي، وفيها أيسر عمر بن الخطاب في الجاهلية؛ لأنها كانت مستطرقا لأهل الحجاز وبفلسطين نحو من عشرين منبرا على صغر رقعتها، وهي من أخصب بلاد الشام.

وأما الجبال، والشراة فإنهما بلدان متميزان:

أما الشراة فمدينتها تسمى أذرح.

وأما الجبال فإن مدينتها تسمى روات وهما بلدان في غاية الخصب والسعة، وعامة سكانها العرب متغلبون عليها.

وأما الأردن فإن مدينتها الكبرى طبرية، وهي على بحيرة عذبة الماء طولها اثنا عشر ميلا، في عرض فرسخين، أو ثلاثة، وبها عيون جارية حارة مستنبطها على نحو فرسخين من المدينة فإذا انتهى الماء إلى المدينة على ما دخله من الفتور بطول السير إذا طرحت فيه الجلود انمعطت، ولا يمكن استعماله إلا بالمزاج، ويعم ذلك الماء حماماتهم، ومياضئ لهم.

والغور أوله هذه البحيرة، ثم يمتد على بيسان؛ حتى ينتهي إلى زغر وريحا

إلى البحيرة المنتنة، والغور ما بين جبلين غائر جدا، وبه عيون، وأنهار، ونخيل ولا تستقر به الثلوج، وبعض الغور من حد الأردن إلى أن تجاوز بيسان فإذا جاوزته كان من حد فلسطين، وهذا البطن إذا امتد فيه السائر أداه إلى أيلة.

وصور بلد من أحصن الحصون التي على شط البحر عامرة خصبة، ويقال: إنه أقدم بلد بالساحل وإن عامة حكماء اليونان منها، وبالأردن كان مسكن يعقوب النبي -عليه السلام- وجب يوسف على اثني عشر ميلا من طبرية على ما يلي دمشق، ومياه طبرية من البحيرة.

وأما جند دمشق فإن قصبتها مدينة دمشق وهي أجل، مدينة بالشام كلها، وهي في أرض واسعة بين جبال تحيط بها مياه كثيرة، وأشجار، وزروع متصلة، وتسمى تلك البقعة الغوطة عرضها مرحلة في مرحلتين ليس بالمغرب مكان أنزه منه، ومخرج مائها من تحت كنيسة يقال لها: الفيجة وهو أول ما يخرج مقداره ارتفاع ذراع في عرض باع ثم يجري في شعب تتفجر فيها العيون فيأخذ منه نهر عظيم أجراه يزيد بن معاوية يعرض في كثير، ثم يستنبط منه نهر المزة، ونهر القنوات، ويظهر عند الخروج من الشعب بموضع يقال له: النيرب، ويقال: إنه المكان الذي قال الله فيه(وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين)، ثم يبقى من هذا الماء عمود النهر فيسمى بردا، وعليه قنطرة في وسط مدينة دمشق لا يعبره الراكب غزارة، وكثرة فيفضي إلى قرى الغوطة، ويجري الماء في عامة دورهم وسككهم وحماماتهم، وبها مسجد ليس في الإسلام مسجد أحسن، ولا أكثر نفقة منه.

وأما الجدار، والقبة التي فوق المحراب، عند المقصورة فمن بناء الصابئين، وكان مصلاهم ثم صار في أيدي اليونانيين فكانوا يعظمون فيه دينهم ثم صار، لليهود وملوك من عبدة الأوثان، فقتل في ذلك الزمان يحيى بن

زكريا -عليه السلام- ونصب رأسه على باب هذا المسجد بباب يسمى باب جيرون، ثم تغلب عليه النصارى فصار، في أيديهم كنيسة يعظمون فيها دينهم؛ حتى جاء الإسلام فصار للمسلمين، واتخذوه مسجدا، وعلى باب جيرون حيث نصب رأس يحيى بن زكريا نصب رأس الحسين بن علي -عليه السلام-، فلما كان في أيام الوليد بن عبد الملك عمره فجعل أرضه رخاما مفروشا، وجعل وجه جدرانه رخاما مجزعا وأساطينها رخاما موشى ومعاقد رءوس أساطينه ذهبا، ومحرابه ذهبا مرصعا بالجواهر، ودور السقف كله ذهبا مكتبا كما تطوف ترابيع جدار المسجد، يقال: إنه أنفق فيه وحده خراج الشام، وسطحه رصاص، وسقفه خشب مذهب يدور الماء على رقعة المسجد؛ حتى إذا فجر منه انبسط على جميع الأركان سواء.

ومن جند دمشق بعلبك وهي مدينة على جبل عامة أبنيتها من حجارة، وبها قصور من حجارة قد بنيت على أساطين شاهقة ليس بأرض الشام أبنية حجارة أعجب، ولا أكبر منها، وطرابلس مدينة على بحر الروم عامرة ذات نخل، وقصب سكر، وخصب.

وأما جند حمص فإن مدينتها حمص، وهي مدينة في مستو، خصبة جدا من أصح بلدان الشام تربة، في أهلها جمال مفرط، وليس بها عقارب ولا حيات، ولها مياه وأشجار، وزروع كثيرة، وأكثر زروع رساتيقها أعذاء، وبها كنيسة بعضها مسجد جامع، وبعضها كنيسة، وهي من أعظم كنائس الشام، وعامة طريق حمص مفروشة بالحجارة، وأما أنطرطوس فهو حصن على بحر الروم ثغر لأهل حمص وبه كان مصحف عثمان بن عفان.

وأما سلمية فهي مدينة الغالب على سكانها بنو هاشم على طرف البادية خصبة، وأما شيزر وحماة فإنهما مدينتان صغيرتان نزهتان كثيرتا الماء والشجر والزرع.

وجند قنسرين مدينتها حلب وهي عامرة بالأهل جدا على مدرج طريق العراق إلى الثغور، وسائر الشامات، وقنسرين مدينة تنسب الكورة إليها، وهي من أصغر المدن بها، ومعرة النعمان مدينة هي وما حواليها من القرى أعذاء ليس بجميع نواحيها ماء جار ولا عين، وكذلك أكثر ما بجميع جند قنسرين أعذاء، ومياههم من السماء.

وخناصرة حصن على شفير البرية كان يسكنه عمر بن عبد العزيز، وأما العواصم فاسم الناحية، وليس موضع بعينه يسمى العواصم، وقصبتها أنطاكية وهي بعد دمشق أنزه بلد بالشام عليها سور من صخر يحيط بها، وبجبل مشرف عليها فيه مزارع، وأرحية، ومراع، وأشجار، وما يستقل به أهلها من مرافقها ويقال: إن دور السور للراكب يومان، وتجري مياههم في دورهم وسككهم، ومسجد جامعهم، وبها ضياع، وقرى، ونواح خصبة جدا، وأما الصخرة فإنها تعرف بصخرة موسى، ويقال: إن موسى اجتمع مع الخضر -عليه السلام- في هذا الموضع.

وأما بالس فهي مدينة على شط الفرات صغيرة، وهي أول مدن الشام من العراق، والطريق إليها عامر، وهي فرضة الفرات لأهل الشام.

وأما منبج فهي مدينة في برية الغالب على مزارعها الأعذاء، وهي خصبة ومنها البحتري الشاعر، وثابت ابنه بها وسكانها عرب، وبقربها سنجة، وهي مدينة صغيرة بقربها قنطرة حجارة تعرف بقنطرة سنجة ليس في الإسلام قنطرة أعجب منها.

وأما سميساط فهي على الفرات، وكذلك جسر منبج، وهما مدينتان صغيرتان خصبتان لهما زروع سقى، ومباخس، وماؤها من الفرات، وملطية

مدينة كبيرة من أكبر الثغور التي دون جبل اللكام وتحتف بها جبال كثيرة الجوز، وسائر الثمار مباح لا مالك له، وهي من قرى بلد الروم على مرحلة.

وحصن منصور حصن صغير فيه منبر وزروعه عذى، والحدث، ومرعش هما مدينتان صغيرتان عامرتان فيهما مياه، وزروع، وأشجار كثيرة، وهما ثغران.

وأما زبطرة فإنها حصن كان من أقرب هذه الثغور إلى بلد الروم خربه الروم، والهارونية من غربي جبل اللكام في بعض شعابه، وهي حصن صغير بناه هارون الرشيد فنسب إليه، وإسكندرونة حصن على ساحل بحر الروم صغير به نخيل، وبياس مدينة صغيرة على شط بحر الروم ذات نخل وزروع خصبة، والتينات حصن على شط البحر أيضا، فيه مجمع لخشب الصنوبر، الذي ينقل إلى الشامات وإلى مصر والثغور.

والكنيسة حصن فيه منبر، وهو ثغر في معزل من شط البحر.

والمثقب حصن صغير بناه عمر بن عبد العزيز، به منبر ومصحف له، وعين زربة بلد يشبه مدن الغور، بها نخيل وهي خصبة واسعة الثمار، والزروع والمرعي، وهي المدينة التي أراد، وصيف الخادم أن يدخل بلد الروم منها فأدركه المعتضد هناك.

والمصيصة مدينتان إحداهما: تسمى المصيصة، والأخرى تسمى كفربيا، على جانبي جيحان وبينهما قنطرة حجارة حصينة جدا على شرف من الأرض، ينظر منها الجالس في المسجد الجامع إلى قرب البحر نحو أربعة فراسخ، وجيحان يخرج من بلد الروم حتى ينتهي إلى المصيصة، ثم إلى رستاق يعرف بالملون حتى يقع في بحر الروم.

وأذنه مدينة تكون مثل أحد جانبي المصيصة على نهر يسمى سيحان، وهي مدينة خصبة عامرة، وهي منقطعة عن نهر سيحان في غربي النهر، وسيحان هو دون جيحان في الكبر، عليه قنطرة حجارة عجيبة البناء طويلة جدا، ويخرج هذا النهر من بلد الروم أيضا. وطرسوس مدينة كبيرة، عليها سوران من حجارة تشتمل على خيل ورجال وعدة. وهي في غاية العمارة والخصب وبينها وبين حد الروم جبال هي الحاجز بين المسلمين والروم، ويقال: إنه كان بها زهاء مائة ألف فارس فيما يزعم أهلها، وليس من مدينة عظيمة من حد سجستان إلى كرمان، وفارس، والجبال، وخوزستان، وسائر العراق، والحجاز، واليمن، والشامات، ومصر إلا وبها لأهلها دار وأكثر. ينزلها أهلها إذا وردوها وأولاس حصن على ساحل البحر بها قوم متعبدون، وهي آخر ما على بحر الروم من العمارة للمسلمين.

وأما رقيم فإنها مدينة بقرب البلقاء، وهي صغيرة منحوتة بيوتها كلها وجدرانها من صخر كأنها حجر واحد. والبحيرة المنتنة من الغور بقرب زغر، وإنما تسمى المنتنة؛ لأنه ليس فيها شيء من الحيوان لا سمك ولا غيره. وتقذف بشيء يسمى الحمر، منه يلقحون كروم فلسطين، كما يلقح النخل يطلع الفحال منها، وبزغر بسر يقال له: الانقلاء لم أر بالعراق ولا بمكان أعذب ولا أحسن منظرا منه، كأن لونه الزعفران لا يغادر منه شيئا، ويكون أربعة منه شبرا، وديار قوم لوط هي أرض تسمى الأرض المقلوبة، وليس بها زرع ،ولا ضرع، ولا حشيش، وهي بقعة سوداء قد فرشت بحجارة كلها متقاربة في الكبر، يروى أنها الحجارة المسومة التي رمي بها قوم لوط، وعلى عامة تلك الحجارة كالطابع. ومعان مدينة صغيرة. سكانها بنو أمية ومواليهم، وهو حصن من الشراة، وحوران والبثنية هما رستاقان عظيمان من جند دمشق، مزارعهما مباخس وهناك بصرى، وعند البلقاء عمان التي جاء في الخبر في ذكر الحوض،

أنه ما بين عمان وبصرى.

وبغراس على طريق الثغور، وبها دار ضيافة لزبيدة، وليس بالشام دار ضيافة غيرها. وبيروت مدينة على شط بحر الروم خصبة من عمل دمشق بها كان مقام الأوزاعي.

وأما المسافات بالشام، فإن طولها من ملطية إلى رفح، فمن ملطية إلى منبج ٤ أيام، ومن منبج إلى حلب يومان، ومن حلب إلى حمص ٥ أيام، ومن حمص إلى دمشق ٥ أيام، ومن دمشق إلى طبرية ٤ أيام، ومن طبرية إلى الرملة ٣ أيام، ومن الرملة إلى رفح يومان، فذلك ٢٥ مرحلة، وعرضها في بعض المواضع أكثر من بعض فاعرضها طرفاها، وأحد طرفيها من الفرات من جسر منبج على منبج، ثم على قورس في حد قنسرين، ثم على العواصم في حد إنطاكية، ثم يقطع جبل اللكام إلى بياس، ثم إلى التينات، ثم على المثقب، ثم على المصيصة، ثم على أذنة ثم على طرسوس، وذلك نحو ١٠ مراحل، وإن سلكت من بالس فإلى حلب، ثم إلى إنطاكية، ثم إلى إسكندرونة، ثم إلى بياس حتى تنتهي إلى طرسوس، فالمسافة أيضا نحو ١٠ مراحل، غير أن السمت المستقيم هو الطريق الأول، وأما الطرف الآخر فهو حد فلسطين، فيأخذ من البحر من حد يافا حتى ينتهي إلى الرملة، ثم إلى القدس، ثم إلى أريحا، ثم إلى زغر، ثم إلى جبال الشراة، ثم إلى الشراة إلى أن ينتهي إلى معان، ومقدار هذا ٦ مراحل، فأما ما بين هذين الطرفين من الشام فهو منحصر، ولا يكاد يزيد عرض موضع من الأردن، ودمشق، وحمص على أكثر من ٣ أيام؛ لأن من دمشق إلى طرابلس على بحر الروم يومين غربا، وإلى أقصى الغوطة حتى يتصل بالبادية شرقا يوما، ومن حمص إلى انطرطوس على بحر الروم يومين غربا، ومن حمص إلى سلمية على البادية شرقا يوما، ومن طبرية إلى صور على البحر غربا يوما، ومنها إلى أن

تجاوز فيق على حد ديار بني فزارة شرقا يوما، فهذه مسافتا طول الشام وعرضه. وأما المسافة في أضعافه فإنا نبدأ بفلسطين، وهي أول أجناد الشام مما يلي المغرب وقصبتها الرملة، فمن الرملة إلى يافا نصف مرحلة، ومن فلسطين إلى عسقلان مرحلة، وإلى غزة مرحلة، ومن الرملة إلى بيت المقدس يوم، ومن بيت المقدس إلى مسجد إبراهيم يوم، ومن بيت المقدس إلى ريحا مرحلة، ومن بيت المقدس إلى البلقاء يومان، ومن الرملة إلى قيسارية يوم، ومن الرملة إلى نابلس يوم، ومن ريحا، إلى زغر يومان، ومن زغر إلى جبال الشراة يوم، ومن جبال الشراة إلى آخر الشراة يوم.

وأما الأردن فإن قصبتها طبرية فمنها إلى صور يوم، ومنها إلى عقبة فيق يوم، ومنها إلى بيسان يومان خفيفان، ومنها إلى عكا يوم، والأردن أصغر أجناد الشام وأقصرها مسافة وأما جند دمشق فإن قصبتها دمشق، ومنها إلى بعلبك يومان وإلى اطرابلس يومان، وإلى بيروت يومان، وإلى صيدا يومان، وإلى أذرعات ٤أيام وإلى أقصى الغوطة يوم، وإلى حوران والبثنية يومان وأما جند قنسرين فإن مدينتها قنسرين غير أن دار الإمارة والأسواق ومجمع الناس، بحلب فمن حلب إلى بالس يومان، ومن حلب إلى قنسرين يوم، ومن حلب إلى الأثارب يوم، ومن حلب إلى قورس يوم، ومن حلب إلى منبج يومان، ومن حلب إلى الخناصرة يومان.

وأما العواصم فإن قصبتها إنطاكية، ومنها إلى اللاذقية ٣ مراحل، ومنها إلى بغراس يوم وإلي الأثارب يومان وإلى حمص ٥ مراحل، ومنها إلى مرعش يومان وإلى الحدث ٣ أيام.

وأما الثغور فإنه لا قصبة لها، وكل مدينة قائمة بنفسها، ومنبج قريبة إلى الثغور ومن منبج إلى الفرات مرحلة خفيفة، ومن منبج إلى قورس مرحلتان

ومن منبج إلى ملطية ٤ أيام، ومن منبج إلى سميساط يومان، ومن منبج إلى الحدث يومان ومن سميساط إلى شمشاط يومان، ومن شمشاط إلى حصن منصور يوم ومن حصن منصور إلى ملطية يومان، ومن حصن منصور إلى زبطرة يوم، ومن حصن منصور إلى الحدث يوم، ومن الحدث إلى مرعش يوم، ومن ملطية إلى مرعش ٣ مراحل كبار، فهذه مسافات ثغور الجزيرة.

وأما الثغور الشامية فمن اسكندرونة إلى بياس مرحلة خفيفة، ومن بياس إلى المصيصة مرحلتان، ومن المصيصة إلى عين زربة يوم، ومن المصيصة إلى أذنة يوم ومن أذنة إلى طرسوس يوم، ومن طرسوس إلى أولاس على البحر الروم يومان، ومن طرسوس إلى الحوزات يومان، ومن طرسوس إلى بياس على بحر الروم فرسخان ومن بياس إلى الكنيسة والهارونية أقل من يوم، ومن الهارونية إلى مرعش من ثغور الجزيرة أقل من يوم فهذه جملة مسافات الثغور.

obeikandl.com